

تفسير البحر المحيط

@ 204 @ ابن عطية : وهذا هو الأفصح الأجل في المعنى انتهى . ويظهر من بعض أسباب النزول أنه عائد على الرسول صلى الله عليه وسلم) كما قال ابن عطية . قال : قيل : إن هذه الآية نزلت في الكفار الذين كانوا إذا لقيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم (تطامنوا وثنوا صدورهم كالمتستر ، وردوا إليه ظهورهم ، وغشوا وجوههم بثيابهم تباعداً منهم وكرهية للقاءه ، وهم يظنون أن ذلك يخفى عليه أو عن الله تعالى فنزلت الآية انتهى . فعلى هذا يكون ليستخفوا متعلقاً بقوله يثنون ، وكذا قال الحوفي . وقيل : هي استعارة للغل ، والحد الذي كانوا ينطون عليه كما تقول : فلان يطوي كشحه على عداوته ، ويثني صدره عليها ، فمعنى الآية : ألا أنهم يسرون العداوة ويتكتمون لها ، ليخفي في ظنهم عن الله عز وجل ، وهو تعالى حين تغشيهم بثيابهم وإبلاغهم في التستر يعلم ما يسرون انتهى . فعلى هذا يكون حين معمولاً لقوله : يعلم ، وكذا قاله الحوفي لا للمضمرة الذي قدره الزمخشري وهو قوله : ويريدون الاستخفاء حين يستغشون ثيابهم . وقال أبو البقاء : ألا حين العامل في الطرف محذوف أي : ألا حين يستغشون ثيابهم يستخفون ، ويجوز أن يكون ظرفاً ليعلم . وقيل : كان بعضهم ينحني على بعض ليساره في الطعن على المسلمين ، وبلغ من جهلهم أن ذلك يخفى على الله تعالى . قال قتادة : أخفى ما يكون إذا حتى ظهره واستغشى ثوبه ، وأضر في نفسه همته . وقال مجاهد : يطوونها على الكفر . وقال ابن عباس : يخفون ما في صدورهم من الشنء . وقال قتادة : يخفون ليسمعوا كلام الله . وقال ابن زيد : يكتُمونها إذا ناجى بعضاً في أمر الرسول صلى الله عليه وسلم) . وقيل : يثنونها حياءً من الله تعالى ، ومعنى يستغشون : يجعلونها أغشية . ومنه قول الخنساء : % (أرعى النجوم وما كلفت رعيته) % . وتارة أتغشى فضل أطماري .

%) .

وقيل : المراد بالثياب الليل ، واستعيرت له لما بينهما من العلاقة بالستر ، لأن الليل يستر كما تستر الثياب ومنه قولهم : الليل أخفى للويل ، وقرأ ابن عباس : على حين يستغشون . قال ابن عطية : ومن هذا الاستعمال قول النابغة : % (على حين عاتبت المشيب على الصبا) % .

وقلت ألما أصح والشيب وازع .

%) .

انتهى . .

وقال ابن عباس : ما يسرون بقلوبهم ، وما يعلنون بأفواههم . وقيل : ما يسرون بالليل وما يعلنون بالنهار . وقال ابن الأنباري : معناه أنه يعلم سرائرهم كما يعلم مظهرانهم . وقال الزمخشري : يعني أنه لا تفاوت في علمه بين إسرارهم وإعلانهم ، فلا وجه لتوصلهم إلى ما يريدون من الاستخفاء والإطلاع على ثنيهم صدورهم ، واستغشائهم بئيا بهم ، ونفاقهم غير نافع عنده . وقال صاحب التحرير : الذي يقتضيه سياق الآية أنه أراد بما يسرون ما انطوت عليه صدورهم من الشرك والنفاق والغل والحسد والبغض للنبي صلى الله عليه وسلم (وأصحابه ، لأنّ ذلك كله من أعمال